وقد ذهب متشنيكوف في كتابه « اطالة العمر » الى ان الموت الطبيعي نادر جداً في الطبيعة لاسباب لا محل لبسطها في هذا المقال. فاذا صحت التجارب التي يجريها فورونوف وغيره لابعاد دور الشيخوخة والهرم كان ذلك خطوة واسعة في سبيل تأييد مذهب متشنيكوف

هذه خلاصة المقالة . والدكتور سرج فورونوف معروف في هذه العاصمة حيث اقام بضع عشرة سنة وكان من اشهر اطبائها وطبيب شرف لسمو الخديوي السابق عباس حلمي

اسباب الفوز في الحرب العظمى

(٢)

بسط الاميرال سمس الاميركي في القسم الاول من هذه المقالة الذي نشرناه في مقتطف يناير الحالة التي كان فيها الحلفاء قبلما انضمت اميركا اليهم وخلاصتها ان الفوز كان مؤكداً للالمان بسبب فعل غواصاتهم بالسفن البريطانية . وابتدأ القسم الثاني من مقالته بقوله : — كيف تفوز اذاً على الغواصات اي كيف ننتصر في هذه الحرب . ويحسن بنا قبل ان نجيب عن هذا السؤال ان نتفهم ما كان جارياً حول البلاد الانكليزية في الربيع والصيف من سنة ١٩١٧

فاذا لم نحسب لشرائع الدول ومطالب الانسانية حساباً فعمل الالمان البحري كان غاية في الاحكام من الجهة الحربية فانهم قصدوا ان تكون لهم السيادة البحرية التي كان لها دائماً القول الفصل في حروب الامم . والدولة التي في يدها زمام البحر يكون الفوز لها لان البحر يمكنها من الاتصال بحلفائها وبالبلدان البعيدة عنها بجلب ما تحتاج اليه منها ولاسيما الطعام لشعبها والمواد الاصلية لمعاملها والذخائر لجنودها . وتستطيع ان تحتفظ بتجارتها التي تتوقف عليها حياتها . وتتمكن من نقل جنودها الى ميادين القتال البعيدة عنها . وتحرم خصومها كل هذه المزايا بحصرهم حصراً بحرياً . وهي تعمل ذلك خفيةً مضمضة عيتها عما ينتجهُ الحصر البحري لاعدائها

وكان الشائع في صحف الاخبار ان زمام البحر لا يزال في يد الاسطول

البريطاني ولم تنتبه الى حقيقة الحال الاَّ في ربيع سنة ١٩١٧ . ولم اعرف انا ذلك تمام المعرفة الاَّ بعد ما اقمت اياماً في مدينة لندن فعرفت حينئذٍ ان زمام البحر لم يكن في يد بريطانيا . نعم انهُ كان في يدها بالمعنى الذي كان مفهوماً في عهد نلسن اي ان اسطولها كان حاصراً للاسطول الالماني ومانعاً اياهُ من الخروج الى عرض البحر . ولو حدث ذلك في الزمن الغابر لكان دليلاً قاطعاً على الفوز ولكان بفوز الحلفاء حتماً . ولكن هذا الحصر ليس سيادة بحرية في عرفنا وانما هو سيادة سطحية . والسيادة الحقيقية لا تكتفي بسيادة سطح البحر بل لا بدَّ فيها من سيادة قلبهِ ايضاً . والدولة التي تفقد كل شهر من سفنها ما حمولهُ ٨٠٠٠٠٠٠ الى ٩٠٠٠٠٠٠ طن كما كان الحلفاء يفقدون في ربيع سنة ١٩١٧ يستحيل ان يكون زمام البحر في يدها

ولقد كان غرض المانيا من حرب الغواصات الذي لم ترعَ فيهِ عهداً ولا إلاَّ ان تنزع زمام البحر من يد انكلترا وتقبض عليهِ حتى تجيعها وتضطرها الى التسليم . وهذا يسهل عليها لان الاطعمة التي تنتج من الجزائر البريطانية لا تكفي شعبها حتى كأن هذه الجزائر خُلقت والبحر محيط بها لتكون هدفاً لسهام الغواصات . وعلى الضد من ذلك الولايات المتحدة الاميركية التي يستحيل حصرها وتجويعها بالغواصات لسعة محيطها وكثرة خيراتها ومعاملها وسهولة النقل فيها بما انشأتهُ من سكك الحديد حتى صارت قادرة ان تمون نفسها بنفسها وتستغني عن كل بلاد اخرى

اما بريطانيا فتجلب جانباً كبيراً من اطعمة اهلها والمواد اللازمة لصناعتهم من بلدان اخرى . وقد كان الطعام الذي فيها في شهر ابريل من سنة ١٩١٧ لا يكفي شعبها الاَّ ستة اسابيع الى ثمانية . والسفن تأتيها حاملة الاطعمة من قارات الارض كلها وتدخل البحر الارلندي والخليج الانكليزي فلا تضطر الغواصات لقطع السبيل على هذه السفن ان تنتشر في الوف من الاميال كما لو قصدت قطع السبيل على السفن القاصدة اميركا بل عليها ان تتربص لها في فسحة ضيقة الى الغرب والى الجنوب من ارلندا . والغواصات التي فعلت الفعل الذريع في تلك الجهات كانت كبيرة نوعاً تفريغ كلٍّ منها نحو ٨٠٠ طن وفيها من التزويد ثمانية الى اثني عشر ووقود يكفيها ثلاثة اسابيع الى اربعة . ولو زادت لحملت من الوقود ما يكفيها اشهراً ولكن ليس العبرة بالوقود بل بمقدار ما تستطيع حملهُ من التزويد فاذا

اطلقت كل ما معها منهُ اضطرت ان تعود الى حيث تجد تراييد اخرى لتأتي بها

ولما استولى الالمان على مدينة برج جعلوها قاعدة لغواصاتهم وصاروا يبنون الغواصات فيها ويصلحون ما يتخرب منها ويصنعون التراييد ايضاً فصارت برج مباءة لغواصاتهم اليها تلجأ ومنها تخرج وتقصد سواحل اولندا. وكان جواسيس الحلفاء اخبر من جواسيس الالمان فكان قلم المخابرات في الحكومة الانكليزية يعلم دائماً كم عدد غواصات الالمان واين هي وكم عدد الغواصات التي يبنونها واين تبنى ونوع بنائها والدرجة التي وصلوا اليها في بنائها

ولم يكن خروج الغواصات الى البحر بالامر السهل لان الحلفاء كانوا يبثون الالغام في طريقها فينتظر الالمان ان ينزعوها قبل سير الغواصة فلا تستطيع الخروج الى عرض البحر ما لم تشتغل تسع سفن او عشر ساعات كثيرة في التفتيش عن الالغام واستخراجها من البحر ولذلك كنا نعلم بخروج كل غواصة وما نوعها ومن ربانها والى اين سارت وكنا نعرف موقع كل غواصة كل يوم ونسجل ذلك في خرائط معدَّة لهُ . وكانت الغواصات دائماً اقل مما يقول الذين يزعمون انهم رأوها . وقد اتضح انهُ من كل ٣٠٠ غواصة زعم الناس انهم شاهدوها في مكان ما لا يكون هناك الاَّ غواصة واحدة . وظهر ايضاً ان الالمان لم يكونوا قادرين ان يرسلوا الى عرض البحر في وقت من الاوقات الاَّ عشر ما عندهم من الغواصات ولو استطاعوا ان يبقوا في عرض البحر مئة غواصة بين شتاء سنة ١٩١٦ وربيع سنة ١٩١٧ لفازوا في هذه الحرب على كل حال

وكانت غواصات الالمان تأتي شرقي اسكتلندا بكثرة منتظرة السفن التي تمخر بين انكلترا واسوج ونروج لتفتك بها . وكان عندهم غواصات اخرى كبيرة جداً تقطع الاوقيانوس تفريغ كلٍّ منها ثلاثة آلاف طن والمرجح انها لم تتمكن من اغراق سفينة من السفن وانما كان غرض الالمان منها اغراء مدمرات الحلفاء حتى تتبعها وتكف عن تدمير الغواصات العادية

مقاومة الغواصات

اول شيء يخطر على البال في مقاومة الغواصات منعها من الخروج الى عرض البحر . وقد ذاكرني كثيرون من كبار الضباط في هذا الموضوع وسألوني عما

يحول دون منع الغواصات من الخروج الى البحر. فقلت لهم ان الحوائل كثيرة اخصها استحالة الوصول الى الاماكن التي تخرج منها الغواصات لان الالمان حصنوها بمدافع قطر فوهة كلٍّ منها من ٨ بوصات الى ١٥ بوصة اخفوها وراء التلال او داخل الخنادق مدى المدفع منها عشرون ميلاً ومدافع بوارجنا لا يزيد مداها على ١٥ ميلاً ومدافعهم ثابتة في اماكنها ومدافعنا متحركة في بوارجنا فاذا قصدتها بوارجنا كان مثلها مثل مصارع ضرير يقع بين يدي مصارع بصير ويدا البصير اطول من يدي الضرير. ومهما كان عدد بوارجنا فان مدافع الالمان تتلفها قبلما تدنو من الشاطىء وهذا اقصى ما يتمناهُ الالمان

وقد زعم بعض رباين السفن التجارية انهُ اذا كان في سفينة الواحد منهم مدفع فانهُ ينجو من الغواصات او يغرقها وهذا خطأ لان مزية الغواصة انها تغوص في الماء فلا ترى. وهي تغرّق السفن من غير انذار وهذا هو السبب الذي حمل الولايات المتحدة على الانضمام الى الحلفاء. ولما اجيب طلب رباين السفن التجارية وسُلحت بالمدافع في صيف سنة ١٩١٧ اغرقت الغواصات ثلاثين سفينة منها في ستة اسابيع. والسفن الحربية على كثرة مدافعها وتمرّن رجالها على اصابة الغرض لم يكن الانكليز يسمحون لسفينة منها بالسير الاَّ ومعها مدمرة تقيها شر الغواصات لانها لا تستطيع ان تقي نفسها فكيف تستطيع ذلك سفينة تجارية

وقد قلَّل الالمان في صيف سنة ١٩١٧ من اغراق السفن التجارية الاميركية المسلحة لانهم كانوا واثقين ان الفوز لهم على كل حال فقصدوا ان يستميلوا الاميركيين جهدهم ويبقوا السلح محلاً

في ربيع سنة ١٩١٧ كانت وزارة البحرية الانكليزية تعتمد في محاربة الغواصات على طريقتين الطريقة الاولى بث الالغام في مداخل الاماكن التي تبنى فيها الغواصات وتخرج منها وتعود اليها مثل اوستند وزيبروج وهليغولند. وقد كانت فائدة ذلك طفيفة جداً لان الالمان كانوا ينتشلون تلك الالغام حالما بُثَّت. والطريقة الثانية مقاومة الغواصات بالسفن الصغيرة التي تتعقبها وتغرقها. وقد اعتمدت على هذه الطريقة لانها وجدتها اوفق من غيرها وانالت بذلك كل المدمرات التي تستطيع الاستغناء عنها وكل اليخوت وسفن الصيد وكل سفينة

صغيرة تستطيع ان تحمل آلة تلغراف لاسلكي ومدفعاً وقنابل تنفجر بعدما تغوص في الماء . واوفى تلك السفن بالغرض المدمرات لانها تستطيع ان تبعد في عرض البحر ولان الغواصات لا تغير على محاربتها فعليها دون سواها كان الاعتماد ولذلك صار غرض الالمان الإبعاد بغواصاتهم عن المدمرات فنالوا هذا الغرض في اوائل سنة ١٩١٧ وتمكنوا حينئذٍ من مهاجمة سفن الحلفاء من غير ان يقابلوا مدمراتهم لان المدمرات كانت وزعت حينئذٍ في اماكن اخرى لحراسة البوارج. اي ان حالة الحرب انالت الالمان غرضهم عفواً . وقد بذل الانكليز همة الجبابرة لكي يتخلصوا من حرج تلك الحالة فلم يستطيعوا لانهُ كان لا بدَّ لهم من حماية بوارجهم ولان المدمرات ونحوها من السفن الصغيرة كانت قليلة عندهم

فصارت المسئلة لدى الحلفاء مسئلة المدمرات . وقد كان عدد المدمرات البريطانية سنة ١٩١٧ نحو ٢٠٠ وكان الكثير منها قديماً وقد ضعف بتوالي استعمالهِ مدة ثلاث سنوات .ولا بدَّ من بقاء ١٠٠ مدمرة منها مع الاسطول الاكبر لانهُ كان دائماً على اهبة الحرب . وكان همُّ الالمان ايضاً موجهاً الى المدمرات لانها هي القادرة على قهر الغواصات ولذلك اهتموا بجعل اسطولهم يهدد الاسطول البريطاني ويتظاهر بالخروج لقتالهِ فجأة حتى يضطر الانكليز ان يبقوا مدمراتهم مع اسطولهم.ثم ان الالمان تهددوا السفن التي جُعلت مستشفيات للمرضى والجرحى من الجيش واغرقوا بعضها فعلاً فاضطرت انكلترا ان تحمي هذه السفن ببعض مدمراتها . ولو كان عقل الانكليز مثل عقل الالمان وآدابهم مثل اداب الالمان لفضلوا المخاطرة بمرضاهم واسرامهم على المخاطرة ببلادهم كلها وتركوا سفن المستشفيات لرحمة الغواصات وابقوا مدمراتهم لوقاية سفن الطعام والذخيرة لان النفع الاكبر يفدى بالنفع الاصغر لكن شفقتهم على المرضى والجرحى صرفتهم عن ذلك . ولما رأت المانيا ان المدمرات صارت تصحب سفن المستشفيات لوقايتها عدلت عن اتباع هذه السفن بغواصاتها واقتصرت على ضرب السفن التجارية ونحوها

وكان على انكلترا ان تحمي ايضاً السفن التي تنقل جنودها الى فرنسا فنقلت في اربع سنوات عشرين مليوناً من الجنود ذهاباً واياباً (لان بعضهم ذهب وآب اكثر من مرتين) ولم يفقد منهم احد وذلك باستخدام خمسين او ستين مدمرة

تصحب القافلات. ونقلت ايضاً جنوداً كثيرة في البحر المتوسط الى ايطاليا ومصر وسورية والعراق. واضطرت ان تواصل ارسال الطعام والذخيرة الى ايطاليا بحماية السفن التي توصلها اليها والاَّ عدلت عن الانضمام الى الحلفاء ولذلك عجزت عن حماية طرقها التجارية لانها لم تستطع ان تضع فيها الاَّ بضع مدمرات . والمدمرات تسير على وجه الماء والغواصات تحتهُ فاذا تساوى عدد الطائفتين لم تستطع الاولى ان تنال من الثانية. وكانت الغواصات تبقى مختفية تترقب السفن التجارية الى ان تدنو من المرافىء البريطانية فتهجم عليها وتغرقها. وها بعض ما ذكرتهُ في تقاريري التي كنت ابعث بها الى الحكومة في وشنطون

« ان الموقف الحربي من حيث فعل الغواصات شديد الخطر. والامر المؤكد الذي لا مفر منهُ ان الفوز ليس في جانبنا بل في جانب العدو على ما يظهر. وستكون النتيجة من فشل الحلفاء الذين اخذنا بيدهم مهمًّا جدًّا في نتائجهِ البعيدة ولذلك يجب علينا ان ننظر بالامعان التام في كل عمل نقدم عليهِ حتى لا يرى فيهِ حلفاؤنا عملاً للانتقاد . والموقف الآن حرج جدًّا ولكن اذا استطعنا ان نضيف الى قوة الحلفاء مقداراً كافياً من قوتنا البحرية فالمرجح اننا نفوز على الالمان قريباً والاَّ فالحالة الحاضرة تدل على ان الفوز لهم »

وقد اختلفت آراء رجالنا في المساعدة البحرية التي يجب ان نساعد الحلفاء بها فقال قوم ان نرسل اليهم اسطولنا الذي في الاوقيانوس الاتلنتيكي . ولو فعلنا لكان ذلك في مصلحة الالمان لاننا كنا نضطر ان نرسل بوارجنا الكبيرة وعمومها بما يلزم لها من الزيت فيتعذر علينا ارسال الزيت الى البوارج البريطانية . وكان الزيت قد شحَّ كثيراً حتى صدرت الاوامر الى البوارج البريطانية ان تجري دائمًا بثلاثة اخماس سرعتها الاَّ عند الضرورة الشديدة. ولو علم الالمان ذلك حينئذٍ لاضطروا الاسطول البريطاني الى الجري في البحر دائمًا حتى لا تبقى فيهِ قطرة زيت لتزييت آلاتهِ فان اكثر هذا الزيت كان يؤتى بهِ من اميركا . ولو ارسلنا بوارجنا الى اوربا لاضطررنا ان نبقي معها كل مدمراتنا ولذلك لم اكد اصل الى لندن حتى ارسلت رسالة برقية الى وزارة البحرية لترسل اليَّ حالاً كل مدمراتنا وكل سفننا الحربية الصغيرة لكي تستخدم كلها في محاربة الغواصات